

تفسير البحر المحيط

@ 265 % (ألا تستحي منا ملوك وتتقي % .

محارمنا لا يبوء الدم بالدم .

%) .

والماضي : استحي ، قال الشاعر : % (إذا ما استحين الماء يعرض نفسه % .

كرعن بسيت في إناء من الورد .

%) .

واختلف النحاة في المحذوفة ، فقليل لام الكلمة ، فالوزن يستفع ، فنقلت حركة العين إلى

الفاء وسكنت العين فصارت يستفع . وقيل المحذوف العين ، فالوزن يستيفل ثم نقلت حركة

اللام إلى الفاء وسكنت اللام فصارت يستفل . وأكثر نصوص الأئمة على أن المحذوف هو العين .

.

وقد تكلمنا على هذه المسألة في (كتاب التكميل لشرح التسهيل) من تأليفنا ، وليس هذا

الحذف مختصاً بالماضي والمضارع ، بل يكون أيضاً في سائر التصرفات ، كاسم الفاعل ، واسم

المفعول ، وغير ذلك . وهذا الفعل مما نقلوا أنه يكون متعدداً بنفسه ، ويكون متعدداً

بحرف جر ، يقال : استحييته واستحييت منه . فعلى هذا يحتمل { أَنْ يَمْضُ رَبَّ } أن يكون

مفعولاً به على أن يكون الفعل تعدى إليه بنفسه ، أو تعدى إليه على إسقاط حرف الجر . وفي

ذلك الخلاف الذي ذكرناه في قوله تعالى : { أَنْ لَّهُمْ جَنَّاتٍ } ، أذلك في موضع نصب

بعد حذف حرف الجر أم في موضع جر ؟ . .

واختلف المفسرون في معنى الاستحياء المنسوب إلى الله تعالى نفيه ، فقليل : المعنى لا

يترك ، فعبر بالحياء عن الترك ، قاله الزمخشري وغيره ، لأن الترك من ثمرات الحياء ، لأن

الإنسان إذا استحيا من فعل شيء تركه ، فيكون من باب تسمية المسبب باسم السبب . وقيل :

المعنى لا يخشى ، وسميت الخشية حياء لأنها من ثمراته ، ورجحه الطبري . وقد قيل في قوله

تعالى : { وَتَخْشَى الذِّسَّاسَ } ، أن معناه تستحي من الناس . وقيل : المعنى لا يمتنع .

وكل هذه الأقوال متقاربة من حيث المعنى ، يجوز أن يوصف الله تعالى بها ، وهذه التأويلات هي

على مذهب من يرى التأويل في الأشياء التي موضوعها في اللغة لا ينبغي أن يوصف الله تعالى به

، وقيل : ينبغي أن تمر على ما جاءت ، ونؤمن بها ولا نتأولها ونكل علمها إليه تعالى ، لأن

صفاته تعالى لا يطلع على ماهيتها الخلق . والذي عليه أكثر أهل العلم أن الله تعالى خاطبنا

بلسان العرب ، وفيه الحقيقة والمجاز ، فما صح في العقل نسبته إليه نسبناه إليه ، وما

استحال أوّله بما يليق به تعالى ، كما نؤول فيما ينسب إلى غيره مما لا يصح نسبته إليه ، والحياء بموضوع اللغة لا يصح نسبته إلى الله تعالى ، فلذلك أوله أهل العلم ، وقد جاء منسوباً إلى الله تعالى مثبتاً فيما روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم (أنه قال : (إن الله حيي كريم يستحي إذا رفع إليه العبد يديه أن يردّهما صفراً حتى يضع فيهما خيراً) ، وأول بأن هذا جار على سبيل التمثيل مثل تركه تخيب العبد من عطائه لكرمه بترك من ترك رد المحتاج إليه حياء منه ، وقد يجوز أيضاً في الاستحياء ، فنسب إلى ما لا يصح منه بحال ، كالبيت الذي أنشدناه قبل وهو :